دين يعادي دين!!

التراث الإبداعي الإسلامي الأصيل!!

التديّن والفساد!!

http://www.arabpsynet.com/Documents/DocSamarraiReligion&Life23.pdf

د . صـــــــادق السامرائـــــــي
أمريكـــا - العـــراق
sadiqalsamarrai@gmail.com

" دين يعادي دين!!

أيّ كرسيٍّ لدينٍ يرتدي يُحرق الدينَ بنار السلطةِ

التأريخ يشير إلى أن معظم مسيرته ملونة بالدين السياسي، وما خلت مرحلة من هذا التداخل الكبير ما بين الدين والدولة، سواء في غرب الأرض أو مشرقها.

فالصراع ما بين الدين والدولة قائم ومتواصل منذ الأزل وسيبقى إلى الأبد، وما تحررت أوربا – على سبيل المثال – من هذا التأثير إلا في العقود القليلة الماضية ، ولازالت هناك تأثيرات غير مباشرة للدين في الدولة.

الصراع ما بين الدين والدولة قائم ومتواصل منذ الأزل وسيبقى إلى الأبد، وما تحررت أوربا – على سبيل المثال – من هذا التأثير إلا في العقود القليلة الماضية

وقد أغفل المؤرخون هذا الصراع في الدولة الإسلامية ومنذ وفاة النبي الكريم، والذي بلغ ذروته في عهد الخليفة الرابع الراشد، وإنتهائه بمعادلة من التفاعل المعروفة ما بين الدولة والدين في الفترة الأموية.

أغفل المؤرخون هذا الصراع في الدولة الإسلامية ومنذ وفاة النبي الكريم، والذي بلغ ذروته في عهد الخليفة الرابع الراشد

وعلى مرّ العصور ظهرت الكثير من التوجهات والنظريات، والرؤى والتصورات والأفكار المتعلقة بالدين والسياسة، وكأن الدين ليس بسياسة، وآلية لتهذيب السلوك البشري.

ويتم التفاعل مع الدين بطريقة إنفعالية عاطفية حامية تتسبب بإتخاذ مواقف متطرفة وتدفع إلى سلوكيات مناهضة للدين والحياة، وتجنح إلى تشويه الحقائق الدينية والإنسانية، وتأتي بدين جديد وتلصقه بالدين الأصيل، وقد حصل ذلك لجميع الأديان وبلا إستثناء، فلا يوجد دين واحد يخلو من هذه التوجهات والتفاعلات ذات النتائج المريرة القاسية.

يتم التفاعل مع الدين بطريقة إنفعالية عاطفية حامية تتسبب بإتخاذ مواقف متطرفة وتدفع إلى سلوكيات مناهضة للدين والحياة، وتجنح إلى تشويه

وفي جميع الحِقب، إلا في بعض مراحل الخلافة الراشدة في الدولة الإسلامية، لم تتحقق صيرورة الدين للدين، بمعنى أن يقوم أصحاب الدين بالتعبير عن القيم السلوكية الإيجابية في دينهم، وبناء الأخلاق والتقاليد الإجتماعية الصحيحة الصادقة اللازمة لترجمة العقيدة الدينية إلى مفردات عمل يومي، يحقق السعادة الإجتماعية والرحمة والألفة والمحبة والعدل والأمن والأمان.

وبذلك يتم الوصول إلى بناء المجتمع الموزون الساعي للخير والمصلحة العامة وتأمين حاجات الإنسان فيه.

إن بناء المجتمع وفقا للمعايير الأخلاقية الدينية يؤدي إلى تأسيس نظام إجتماعي متكافل ورحيم ومتآزر، وقادر على التقدم إلى أمام بخطوات حضارية ثابتة ورصينة وواثقة بالحاضر والمستقبل.

إن بناء المجتمع وفقا للمعايير الأخلاقية الدينية يؤدي إلى تأسيس نظام إجتماعي متكافل ورحيم ومتآزر، وقادر على التقدم إلى أمام بخطوات حضارية ثابتة ورصينة وواثقة بالحاضر والمستقبل

فلو أن كل مراكز العبادة للأديان في أي مجتمع، ركزت جهودها على البناء الأخلاقي والسلوكي للناس، لتحول المجتمع إلى فريق عمل وطني واحد.

وقد كانت الجوامع والمساجد في مراحل الإسلام الأولى وبعض الفترات المتقطعة، ذات دور تنويري وتثقيفي وإشراقي في بناء النفس والروح والفكر وتهذيب السلوك البشري، أي أن دورها ورسالتها كانت تربوية إنسانية خالصة، وبذلك بنت المجتمع الملتزم بالقيم والمعايير والأخلاق الإسلامية النبيلة السامية.

قد كانت الجوامع والمساجد في مراحل الإسلام الأولى وبعض الفترات المتقطعة، ذات دور تنويري وتثقيفي وإشراقي في بناء النفس والروح والفكر وتهذيب السلوك البشري

إن العودة إلى هذه المبادئ الأصيلة، وعدم التنازل عنها والإنحراف إلى غيرها يساهم في القوة والقدرة الحضارية الإيجابية , وما يجري اليوم في بعض البلدان التي أمعنت في الجهل الديني وتوطنت الكراسي، وحسبتها منابرها الدينية للتعبير عن السلوك المقرون بأمّارة السوء والفحشاء، قد تسبب في تداعيات قاسية.

ففي بلدٍ تدّعي فيه الأحزاب الدينية الحكم والنفوذ يعم الفساد والتأخر، ويزداد الفقر وتنتشر الرشوة والمحسوبية والمظالم والتفاعلات المناهضة لأبسط قيم الدين ، مما يشير إلى مدى العلاقة السلبية ما بين الكرسي والمدعين بالأديان.

إن الدين عندما يكون معبّرا عن الدين في الواقع المعاش، فأنه يكون على علاقة إيجابية وصالحة مع الحكم أو السياسة، لأن المجتمع المربّى دينيا والواعي لأخلاق الدين وتقاليده وقيمه وأعرافه، سيُنجب رجالا قادرين على التفاعل الوطني والإنساني الصحيح مع الكرسي أو المنصب السياسي، وسيطلقون الطاقات الحضارية الكامنة في الدين، لأن الإنسان المتربّي في مجتمع ديني حقيقي يصعب عليه الإنحراف وإرتكاب المفاسد والمظالم والشرور، بعكس المدّعين بالدين والذين يتخذونه وسيلة وقناعا للوصول إلى مآربهم السيئة المهينة، فيعفرون الدين بآثامهم وخطاياهم، وينتهكون حرمة القيم والمعايير النبيلة، ويذبحون الفضيلة بمدية الرذيلة التي يجيدون إستخدامها لإرضاء رغباتهم المسعورة.

ما يجري اليوم في بعض البلدان التي أمعنت في الجهل الديني وتوطنت الكراسي، وحسبتها منابرها الدينية للتعبير عن السلوك المقرون بأمّارة السوء والفحشاء، قد تسبب في تداعيات قاسية

والدين الإسلامي عَبْر مسيرة الحضارة الإنسانية، أثبت بأنه غني بالمبادئ والقيم والقوانين والآليات والقدرات اللازمة لصناعة الوجود الحضاري المنير .

الإنسان المتربّي في مجتمع ديني حقيقي يصعب عليه الإنحراف وإرتكاب المفاسد والمظالم والشرور، بعكس المدّعين بالدين والذين يتخذونه وسيلة وقناعا للوصول إلى مآربهم السيئة المعينة

ومن دون وعي الجواهر الفكرية ودرر العقيدة الإسلامية لا يمكن القول بأن الدين يصلح للسياسة، لأنه سيدفع إلى إنحرافات وتداعيات متطرفة ومدمرة، وهذا ما يُخشى منه، إذا جلس جهلة الدين على الكراسي وتسنموا الحكم، لأن ربط الجهل الديني بالكراسي، سيؤدي إلى تفاعلات إنفعالية سلبية شديدة، وذات إمتدادات مروعة في المجتمع، كما يحصل في بعض بلدان الكراسي المقنعة بالدين، والتي تأتي بما هو منافي للدين.

ويبدو أن الإرتقاء بالدين لكي يكون للدين هو السلوك الأفضل في المجتمعات الإسلامية، لأنه سيصنع دولة ذات دين ومعبرة عنه بسلوكها السياسي الناضج والمنور بالثقافة والوعي والتجربة الحضارية الإسلامية العريقة.

فهل سيكون الدين ممارسة لدين، أم دين يعادي الدين؟!!

تساؤل في زمنٍ ضاع فيه معنى الدين العمل!!

الدين الإسلامي غَيّر مسيرة الحضارة الإنسانية، أثبت بأنه غني بالمبادئ والقيم والقوانين والآليات والقدرات اللازمة لصناعة الوجود الحضاري المنير

التراث الإبداعي الإسلامي الأصيل!!

دخلت ذات يوم في مكتبة عريقة للتراث الإسلامي (في جامع الملك عبد الله في عمان) , ورحت أتصفح ما تحتويه من أمهات الكتب والمجلدات , وأمضيت أسابيعَ متواصلة أغوص في كتبها , حتى وجدتني في حيرة ودهشة أمام العطاء الإسلامي المتنوع والشامل على مدى قرون من الحضارة , والتعمق الفكري والفلسفي والمعرفي الكوني الأبعاد والتطلعات.

من دون وعي الجواهر الفكرية ودرر العقيدة الإسلامية لا يمكن القول بأن الدين يصلح للسياسة، لأنه سيدفع إلى إنحرافات وتداعيات متطرفة ومدمرة

وكنت قبلها أحسبني قد عرفت وأستطيع أن أقول وأبدي رأيا وأناقش حالة أو موقفا , كأي عربي يتكلم اللغة وينسب إلى نفسه فهم الدين ووعي مفرداته , لكنني وأنا في المكتبة أدركت ضآلة القدرات الفردية وعجزها مهما حاولت , أن ترتقي إلى إستيعاب هذه الغزارة الإبداعية الفياضة , المتناوِلة لكل ما يخطر على بال من مفردات الحياة والموت والكون.

وأدركت بأن العطاء الإبداعي الإسلامي لا يستطيع أن يحيط به عقل فرد واحد بكفاءة وتمكّن مهما حاول , ولو أفنى عمره في الدراسة والبحث والفهم.

هل سيكون الدين ممارسة لدين، أم دين يعادي الدين؟!!
تساؤل في زمنٍ ضاع فيه معنى الدين العمل!!

فهذا التراث الإبداعي الخلاق بحاجة إلى جمهرة عقول ذكية , يدرس كل منها شأنا وعليها أن تتفاعل بروح علمية وإنسانية راقية , لكي تقرر أمورا معينة في زمن الثورة المعلوماتية الهائلة.

إن العلوم الإسلامية الفكرية والإنسانية والدينية من الغزارة والعمق والدقة والشمول ما لم يحصل في تأريخ البشرية من قبل.

هذا الفيض المعلوماتي النابع من الثقافة القرآنية والأحاديث النبوية ومسيرة الصحابة والأولياء والصالحين

, وإجتهادات مفكري أبناء الأمة الإسلامية على مر القرون, يطرح سؤالا على أبناء الجيل الحاضر والأجيال القادمة عنوانه: كيف يتم الإلمام العلمي والواقعي الصحيح بهذا الجهد الفكري الإسلامي الفياض؟
وكيف يتم التعبير عنه في أزمنة متجددة وتطورات بشرية حاصلة؟

إن النظرة الفردية للموضوع لا أظنها ستكون عادلة وموفية بالأغراض العلمية والشرعية والفقهية , بل أنها ستحقق أضرارا وإنحرافات , لأن الفرد عليه أن يستوعب العلوم الإلهية وجوهر مكنونات العلوم الكونية ويكتسب درجة معرفية عالية , ويحيط بالعلوم المعاصرة المتجددة , وهذا لا يتحقق بسهولة في أيامنا المتدفقة بثوراتها العلمية والمعرفية.

إن أبواب الإجتهاد والإبداع الفكري الإسلامي مفتوحة ومطلقة , على أن تكون ذات إسنادات فكرية ومعرفية واضحة شأنها شأن أي بحث علمي.
والذي ننساه هو أن المفكرين في الحضارة الإسلامية , وعبر مراحلها ومنذ بداية تدوينهم لأفكارهم , قد إنتهجوا نهجا بحثيا وعلميا لا يختلف كثيرا عن مناهج البحث العلمي التي نتبعها اليوم.
فيكون الإجتهاد عبارة عن إستنتاج بحثي رصين يمتلك الأهلية للحياة في مكانه وزمانه.
وعليه فالأمة الإسلامية بحاجة لجمهرة عقول عاملة تتفاعل فيما بينها , ومن خلال وعيها ومعرفتها في حقل إختصاصها وتفكيرها تستطيع أن تعطي ما ينفع الدين .
فالعقل الفردي لا يمكنه ومهما إدّعى درجة العلمية والدراية أن يكون صحيحا ومنصفا , إن لم يتفاعل مع عقول إسلامية مماثلة له , لكي يتحقق الوصول إلى إستنتاج معقول , وفيه درجة متوازنة من الصحة والصواب.
لأن الفرد لو أمضى عمره كله في التبحر بالعلوم الإسلامية لا يمكنه أن يلم بها , لأنها نتاج أجيال متعاقبة من العلماء والمفكرين , فالفرد دون ذلك الوعي والإدراك بكثير , لأنه لا يمكنه أن يرى إلا جزءا صغيرا ووفقا لما إستوعبه وتمثله في عقله ورؤاه وإستحضرته له زاوية نظره.
ولهذا يكون من المفيد أن يبحث فريق عمل من جيل إسلامي متعلم ومتفقه في جوانب الدين المختلفة للإحاطة المعقولة والوعي المنصف.

إن الحياة المعاصرة تتطلب من المسلمين برؤاهم وتصوراتهم أن يجلسوا مع بعضهم في مجلس شورى للأمة الإسلامية , لكي يكونوا بمستوى رسالة الدين وعظيم شأنه وعمق إدراكه ورؤيته للحياة والوجود البشري.

إن مشكلة الأمة الإسلامية في هذه الغزارة الإبداعية والعطاء الكثير , الذي يجعل أبناءها يتحولون إلى فرق وجماعات كل حسب ما أدرك ووعى , وما وعى إلا القليل القليل , وبقي الكثير الكثير , الذي هو بحاجة إلى وعي وإدراك حكيم وعاقل.

والمصيبة الكبرى في غزارة الجهل والأمية , أمام هذه الغزارة المعرفية الواسعة.
وكأنها تعيد للأذهان صرخة جبريل عليه السلام بمحمد (ص) "إقرأ..إقرأ" فهل نحن نقرأ أو نتوهم القراءة والمعرفة ونتصورها؟!!

أدركت بأن العطاء الإبداعي الإسلامي لا يستطيع أن يحيط به عقل فرد واحد بكفاءة وتمكّن مهما حاول , ولو أفنى عمره في الدراسة والبحث والفهم

إن العلوم الإسلامية الفكرية والإنسانية والدينية من الغزارة والعمق والدقة والشمول ما لم يحصل في تأريخ البشرية من قبل

يطرح سؤالا على أبناء الجيل الحاضر والأجيال القادمة عنوانه: كيف يتم الإلمام العلمي والواقعي الصحيح بهذا الجهد الفكري الإسلامي الفياض؟

إن أبواب الإجتهاد والإبداع الفكري الإسلامي مفتوحة ومطلقة , على أن تكون ذات إسنادات فكرية ومعرفية واضحة شأنها شأن أي بحث علمي

الإجتهاد عبارة عن إستنتاج بحثي رصين يمتلك الأهلية

للحياة في مكانه وزمانه

كما أن الإبداع الإسلامي يتناول كل كبيرة وصغيرة , ويمضي إلى أعماق المجهول , ويستند على حقائق وإفتراضات حكيمة , لكن التمسك بالفروع والإبتعاد عن الأصول يحوّل البحار إلى أنهار, والأنهار إلى سواقي , والسواقي إلى ترع يتنازع عليها من يدّعي أنها ذات شأن يعنيه.
وهكذا فإن المسلم لا يمكنه بسهولة الإحاطة بفضاءات المعرفة الإسلامية الشاملة.

الأمة الإسلامية بحاجة لجمهرة عقول عاملة تتفاعل فيما بينها , ومن خلال وعيها ومعرفتها في حقل إختصاصها وتفكيرها تستطيع أن تعطي ما ينفع الدين

وفي الزمن الذي نعيشه تفرض عليه الحياة ما تفرض من متطلبات وقيود وحدود , وهذا قد يدفعه إلى القول بما لا يعرف ظنا منه أنه يعرف.

كما أن من الضروري الإطلاع على الديانات البشرية الأخرى , لكي يدرك المسلم قيمة دينه ودوره السامي في الحياة , بدلا من الإنخراط في رؤى وتوجهات سلبية لا تنفعه وتضر بدينه.

أدعو الله أن يفقه المسلمين في دينهم , ويلهمهم سواء السبيل , ويوحد كلمتهم ويرفع راياتهم , ويعلي كلمة أمة الإسلام , بكل مدارسها ومذاهبها , ويسعى الجميع للحفاظ على هذه الخيمة الإلهية المباركة التي تستظل بها الأجيال.

العقل الفردي لا يمكنه ومهما إدّعى درجة العلمية والدراية أن يكون صحيحا ومنصفا , إن لم يتفاعل مع عقول إسلامية مماثلة له , لكي يتحقق الوصول إلى إستنتاج معقول , وفيه درجة متوازنة من الصحة والصواب

فالدين الإسلامي خيمة كبيرة أعمدتها وأوتادها المدارس والمذاهب والفرق , التي تولدت بسبب غزارة العطاء الفكري , وتعاظم البحث والإجتهاد على مر العصور. وهي مصادر قوة وإثراء للدين , وليست ضعفا كما يتوهم البعض, بل أنها من ضرورات التفاعل الصحيح ما بين الدين والحياة.

والحقيقة الجوهرية أن الكتاب واحد , والتأويل والتفسير يتنوع , وهو من باب الإجتهاد والرأي المطلوب للتواصل مع الزمان والتفاعل مع المكان , فلنختلف فيما نرى ونجتهد ونؤول ونفسر , وعلينا أن لا ننسى أن ربنا واحد وكتابنا واحد ونبينا واحد.

"إن الله يعلم وأنتم لا تعلمون"
"وقل ربي زدني علما"
"وما أوتيتم من العلم إلا قليلا"

التديّن والفساد!!

كأنها تعيد للأذهان صرخة جبريل عليه السلام بمحمد (ص) "إقرأ..إقرأ" فهل نحن نقرأ أو نتوهم القراءة والمعرفة ونتصورها؟!!

الواقع البشري يؤكد أن التديّن يتناسب طرديا مع الفساد , والعكس غير صحيح , بمعنى كلما زاد التديّن زاد الفساد , و وصل إلى ذروته ومنتهاه , لأنه محميّ بالتأويلات اللازمة لتبريره وتسويغه , بل وتحويله إلى طقس ديني وربما دين.

هذه العلاقة واضحة في مسيرة الأديان كافة , وتأريخها يزدحم بالأمثلة والممارسات التي حققت أفظع درجات الفساد والإفساد في المجتمعات , التي تعبت أجيالها من القهر بإسم الدين فثارت عليه وحجرته في زوايا الأماكن التعبدية وحسب.

ويبدو أن مجتمعاتنا تمر بذات المراحل التي عانت منها المجتمعات الغربية في عصور الحكم بأمر الكنيسة المتنفذة المستبدة التي لا يعلو على رأيها رأي أو قرار , وحالما تزايد عدد المتدينين والحاكمين بإسم الدين , حتى تربع الفساد على عرش الحياة وتسيّدت الرذائل وإندحرت الفضائل , وصارت الشياطين هي الرحمان الرحيم!!

فما يجري في مجتمعاتنا التي تمكنت فيها الأحزاب المتدينة , أو المدعية بأنها تمثل دين , يؤكد هذا الترابط العضوي ما بين الفساد والإفساد والكراسي المتديّنة , التي تحسب أنها صاحبة الحق المطلق , وأن ما تقوم به إنما هو تنفيذ لأمر ربها وترجمة لأفكار دينها , وهي التي صار هواها دينها المزعوم , ومشروعها المرسوم.

الفساد سلوك منحرف يسيئ به المرء إستخدام أي مسؤولية تقع على عاتقه , والتدين من المفروض أن يكون معبرا عن السلوك القويم الصالح , الذي يرضي رب المتدين ويساهم في بناء المحبة والألفة الإنسانية والوطنية بين الناس.

فكيف تتواءم المتناقضات في وعاء سلوكي واحد؟!

هل أن الفاسدين يجترؤن من كتبهم ما يبرر فسادهم , ويجعله وسيلة للتقرب إلى ربهم , وقوة لتعزيز إيمانهم وتمسكهم بما يؤمنون به ويعتقدونه؟

هل أن الفاسدين يحسبون ما يدر عليهم الفساد من الغنائم إنما هو رزق من ربهم الكريم عليهم , والذي خصهم بميزة الإحتكار وأخذ الأموال , والإثراء الفاحش السريع , المؤزر بالنهب والسلب وإغتصاب حقوق الآخرين؟

إن المتدينين لا يقومون بعمل إلا وفقا لتبريرات وتنظيرات واضحة متكررة من صلب دينهم الذي يتدينون به , مهما كان نوع ذلك الدين , لأن جميع الأديان يمكن أن تؤخذ بإتجاهين , فهي سيف ذو حدين , وآلية يمكن تسويغها لتبرير أي عمل سيئ , بل أن الأديان يمكنها أن تكون ذات قدرة على تسويغ المنكرات وتمرير الموبقات , وما أكثر المدّعين بالقدرة على الإفتاء المشين.

وتلك محنة كبرى يعاني منها أي دين , بل أنها تشمل أي معتقد ونظرية وحزب وتجمع فئوي وغيره من السلوكيات البشرية الجمعية , التي فيها الغايات تبرر الوسائل اللازمة للوصول إليها!!

وما دينهم إلا النفس الأمّارة بالسوء والفحشاء والمنكر البغيض , وما التدين السياسي إلا تجارة وقناع للفاسدين والآثمين وأعداء رب العالمين!!

أن من الضروري الإطلاع على الديانات البشرية الأخرى , لكي يدرك المسلم قيمة دينه ودوره السامي في الحياة , بدلا من الإنخراط في رؤى وتوجهات سلبية لا تنفعه وتضر بدينه

ما يجري في مجتمعاتنا التي تمكنت فيها الأحزاب المتدينة , أو المدعية بأنها تمثل دين , يؤكد هذا الترابط العضوي ما بين الفساد والإفساد والكراسي المتديّنة , التي تحسب أنها صاحبة الحق المطلق

هل أن الفاسدين يحسبون ما يدر عليهم الفساد من الغنائم إنما هو رزق من ربهم الكريم عليهم , والذي خصهم بميزة الإحتكار وأخذ الأموال , والإثراء الفاحش السريع , المؤزر بالنهب والسلب وإغتصاب حقوق الآخرين؟

إرتباطات ذات صلة

مقاربات في النفس الدين و الحياة. . . (23)
http://www.arabpsynet.com/Documents/DocSamarraiReligion&Life20.pdf

**** **** ****

"مقاربـــات"... في النفس و الدين و الحياة

(الرؤية ... من منظور مختلف)

" مقاربات " : العدد 3 (2016)

بسم الله الرحمن الرحيم

"وما صاحبكم بمجنون"

صدق الله العظيم [القرآن الكريم81: 2]

الافتراءات النفسية ضد رسول الإنسانية...

الرد عليها من منظور الطب النفسي

وليد خالد عبد الحميد (العراق)

ارتباط الكتاب

http://www.arabpsyfound.com/index.php?id_product=250&controller=product&id_lang=3

الفهرس

http://www.arabpsynet.com/Mugarabet/eBM2WK2016-Content.pdf

السلسلة المكتبية: "مقاربـــات"...

على مؤسسة العلوم النفسانية العربية

http://www.arabpsyfound.com/index.php?id_category=45&controller=category&id_lang=3

على الفايس بوك

/https://www.facebook.com/%D9%85%D9%82%D8%A7%D8%B1%D8%A8%D8%A7%D8%AA-Mugarabat-1037164736374422

**** **** ****

مؤسسة علوم النفس العربية

Arab Foundation Of Psychological Sciences

مجلات / دوريات

" نفسانيات " المجلة العربية لعلوم وطب النفس

http://www.arabpsynet.com/apn.journal/index-apn.htm

http://www.arabpsyfound.com/index.php?id_category=24&controller=category&id_lang=3

*** ***

مجلة "بصائر نفسية

http://www.arabpsynet.com/apn.journal/index-eJbs.htm

http://www.arabpsyfound.com/index.php?id_category=25&controller=category&id_lang=3

**** **** ****